الفصل الثالث

سمات، وأعراض التوحُّد

✍يمكننا تحديد أهم السمات المميزة لأطفال التوحُّد،كالتالي:

● يُعاني الأشخاص المُصابون بالتوحُّد ضعفاً في التفاعُل مع مَنْ حولهم، وكذلك ضعفاً في التواصل الاجتماعي، والتخيُّل، وهي تغطي جوانب الضعف الثلاثة في الشخص التوحُّدي:

- التفاعُّل الاجتماعي: صعوبةٌ في العلاقات الاجتماعيَّة، كعدم الاهتمام بمَنْ حوله٠

- التواصل الاجتماعي: صعوبةٌ في التواصل اللفظي وغير اللفظي، كعدم فهم التلميحات، أو تعبيرات الوجه، أو نغمة الصوت٠

- التخيُّل: صعوبة في تطور التخيُّل في أثناء اللَّعب، كمحدودية في الأنشطة التخيُّلية٠

- الشخص التوحُّدي ــ غالباً ــ ما يبدي مقاومة في تغيير الروتين اليومي الذي اعتاد عليه٠

- العجز الجسمي الظاهر، وقد يترتب علي ذلك شكوك الأم بأنَّ طفلها أصم أو كفيف٠

- البرود العاطفي الشديد،حيث يفتقد الطفل الاستجابة لمشاعر العطف والانتماء التي يمكن أن يتلقاها من

الآخرين، لدرجة أنَّ الأهل يعتقدون أنَّ الطفل يعزف عن صحبة الآخرين، ولا يهتم بأن يكون وحيداً٠

- تكرار السلوك النمطي، وبصورةٍ غير طبيعيَّةٍ، كأن يرفرف بيديه بشكلٍ متكرِّر، أو يهز جسمه إلي الأمام أو الخلف أثناء الجلوس والدوران حول نفسه، كما يمكن ترديد كلمات مُحدَّدة، أو جمل مُعيَّنة لفترةٍ طويلةٍ من الوقت، أو أن يرتبط ببعض الأشياء بصورةٍ غير طبيعيَّةٍ، كأن يلعب الطفل التوحُّدي بسيارة مُعيَّنة بشكلٍ متكرّر دون محاولة التغيير إلي سيارة أخري أو لُعبة جديدة٠
- سلوك إيذاء الذات ونوبات القلق، كأن يعضّ الطفل جسده حتى ينزف، أو يضرب رأسه بالحائط، وقد يُظهر سلوكاً عدوانياً تجاه الغير٠
- الكلام النمطي، فأطفال التوحُّد يتصفون بالبكم، فهم لا يتكلمون، ولكن يهمهمون ويكون التكرار النمطي للكلام مباشراً، وقد يحدث متأخراً٠
- قصور السلوك، أي التأخُّر في نمو السلوك، فقد يكون العُمْر الزمني للطفل عند التوحُّد خمس سنوات، بينما سلوكه يتماثل مع سلوك الطفل العادي ذي السَّنة

الواحدة من العُمُر·وهو يفتقد الاستقلالية، بل يعتمد علي الآخرين في طعامه، أو ارتداء ملابسه·

- هناك بعض السلوكيات التي قد تكون مؤشراً علي ظهور أعراض التوحُّد..لذلك يجب علي الآباء والأمهات مراقبة سلوكيات أطفالهم منذ سن مبكرة، لاكتشاف أي أعراض توحُّديه تستحق عرضها علي الطبيب النفسي؛ لأنَّ اكتشافها مبكراً يُساعد علي الاقتراب من الحياة الطبيعيَّة بشكلٍ أكبر، وهذه المؤشرات هي:

– يُبدي الطفل عدم الاهتمام بالآخرين·

– لا يلعب مع غيره من الأطفال·

– يُبدي بعض السلوكيات الغريبة·

– يتكلم في موضوع واحد لا يُغيره·

– يقلد الكلمات مثل الببغاء·

– يتواص مع الآخرين باتجاه ونمط واحد·

– قلة اللَّعب الابتكاري·

– لا تستهويه الاختلافات والتغييرات مثل بقية الأطفال العاديين·

- يُطلق ضحكات وقهقهات غير مناسبة.

● تختلف سمات الإناث عن الذكور، فاضطرابات اللُّغة عند الذكور أكثر وضوحاً منها عند الإناث، والأنماط السلوكيَّة الروتينية أكثر وضوحاً عند الإناث منها عند الذكور، وتركيز الانتباه عند الإناث أعلي من الذكور، والتواصل اللمسي عند الإناث أكثر تجاوباً من الذكور.

● أهم أعراض التوحُّد:

عادةً لا يمكن ملاحظة التوحُّد بشكل واضح حتى سن ٢٤ -٣٠ شهراً، حينما يُلاحظ الوالدان تأخُّراً في اللُّغة، أو اللَّعب، أو التفاعُل الاجتماعي، وغالباً ما تكون الأعراض واضحة في الجوانب التالية:

أولاً: التواصل:

يكون تطوُّر اللُّغة بطيئاً، وقد لا يتطوَّر أبداً، ويتمّ استخدام الكلمات بشكلٍ مختلف عن الأطفال الآخرين، حيث ترتبط الكلمات بمعانٍ غير مُعتادة لهذه الكلمات، ويكون التواصل عن طريق الإشارات بدلاً من الكلمات، كما يكون الانتباه والتركيز لمدة قصيرة.

ثانيًا: التفاعُل الاجتماعي:

يقضي الطفل التوحُّدي وقتاً أقلّ مع الآخرين، ويُبدي اهتماماً أقل بتكوين الصداقات مع الغير، وتكون استجابته أقلّ للإشارات الاجتماعيَّة،مثل: الابتسامة، والنظر للعيون.

ثالثًا: المشكلات الحسيَّة:

استجابة غير معتادة للأحاسيس الجسدية، كأن يكون الطفل حساساً أكثر من المعتاد للمس، أو يكون أقلّ حساسية من المعتاد للألم، أو الحرارة، أو النظر، أو السمع، أو الشم.وبسبب فقدانه الاتصال مع المجتمع يفقد مهارة التقليد ممَّا يُسبّب تأخُّراً في الحس والإدراك.

كما لا يستجيب الطفل عند مناداته باسمه ليبدو وكأنَّه أصم، لكنَّه قد يستجيب لأصواتٍ أخري من حوله كصوت لُعبةٍ ما، أو ما يصدر من صوتٍ عند فتح غطاء عُلبة أو زجاجة.

والطفل التوحُّدي يُفضل النظر للفضاء ويرفض النظر إلي الأفراد .ويكون للبعض اهتمامات بصرية غريبة كأن يوجه بصره إلي نافذة واحدة، أو يعمد إلي رفرفة أصابعه في الضوء، أو الدوران حول نفسه.

رابعًا: اللَّعب:

هنـاك نقـص في اللَّعـب التلقائـي أو اللَّعـب الابتـكاري، كمـا أنَّ الطفـل التوحُّدي لا يقلـد حـركات الآخريـن، ولا يحـاول أن يبـدأ في عمـل ألعـاب خياليـة أو مبتكـرة.

خامسًا: السلوك:

قـد يكـون الطفـل نشـطاً ومتحـركاً أكثـر مـن المعتـاد، أو قـد تكـون حركتـه أقـلّ مـن المعتـاد، مـع وجـود نوبـات مـن السـلوك غيـر السَّـوي (كأن يضـرب برأسـه في الحائـط) دون سـبب واضـح.وقـد يصـر علـي الاحتفـاظ بشـيءٍ مـا،أو التفكيـر في فكـرة بعينهـا، أو الارتبـاط بشـخصٍ واحـد بعينـه.وهنـاك تناقـض واضـح في تقديـر الأمـور المعتـادة، وقـد يُظهـر سـلوكاً عنيفـاً أو عدوانيـاً أو مؤذيـاً للـذات.

ويمكـن أن نـورد مجموعـة مـن الأعـراض السـلوكيَّة للتوحُّـد، علـي النحـو التالـي:

١. يتصرَّف الطفل وكأنَّه لا يسمع، ولا يهتم بمَنْ حوله.

٢. لا يُحب أن يحتضنه أحد.

٣. يُقـاوم الطرائـق التقليديـة في التعليـم، وليـس لديـه القـدرة ولا الدافعيـة للتعلُّـم والتخاطب..لذلـك يُعانـي توقـف النمـوّ الاجتماعـي، والقـدرة علـي التفاعُـل مـع الآخريـن.

والمفارقة المهمة أنَّ طفل التوحُّد قد ينبغ أو يتفوق أو يبدي مهارة فائقة في أحد المجالات،مثل: الرياضيات،أو الفنّ (الموسيقي، والرسم)، أو الشعر، أو النشاط الرياضي، بشكلٍ لا يستطيع الطفل العادي بلوغه٠

٤. لا يخاف الخطر، ونقص الخوف من أيَّة مخاطر حقيقية٠

٥. يُكرر كلام الآخرين٠

٦. نشاط زائد ملحوظ، أو علي النقيض خمول مبالغ فيه٠

٧. لا يلعب مع الأطفال الآخرين٠

٨. تقلُّب وجداني: ضحك وبكاء دون سبب واضح، والخوف المفرط كاستجابةٍ لموضوعاتٍ غير مؤذية٠

٩. نوبات غضب شديدة لأسبابٍ غير معروفة٠

١٠. يُقاوم التغيير في الروتين اليومي المعتاد٠

١١. يستمتع بلف الأشياء٠

١٢. لا ينظر في عين مَنْ يكلمه٠

١٣. لا يستطيع التعبير عن الألم٠

١٤. تعلُّق غير طبيعي بالأشياء الغريبة٠

١٥. وجود حركات متكرِّرة أو غير طبيعيَّة، مثل: هز الرأس، أو الجسم، أو اليدين٠

١٦. فقدان الخيال والإبداع في لعبه.

١٧. قصور أو غياب في القدرة علي الاتصال والتواصل.

● أعراض التوحُّد التقليدي:

تبدأ ملاحظة هذا الاضطراب في السَّنة الثانية والنصف من عُمُر الطفل من (٣٠إلي ٣٦ شهراً)٠ومن المعروف أن التوحُّد له ثلاثة أعراض رئيسة، تتمثل في:

١ــ ضعف العلاقات الاجتماعيَّة٠

٢ ــ ضعف الناحية اللُّغويَّة٠

٣ ــ الاهتمامات والنشاطات المتكرِّرة٠

وفيما يلي سوف نستعرض للأعراض الثلاثة بشيءٍ من التفصيل:

أولاً: ضعف التواصل الاجتماعي:

أي ضعف الطفل التوحُّدي في العلاقات الاجتماعيَّة مع أمه وأبيه وأهله والغرباء أيضاً، بمعني أنَّ الطفل لا يُصافح أحد، ولا يفرح عندما يري أمه أو أبيه، ولا توجد لدي الطفل أيَّة عاطفة

تجاه والديه أو المُحيطين به، ولا يرفع ذراعيه للأعلى لكي يحمله أحد، وعدم الاهتمام بالأشخاص وأفراد المجتمع من حوله، وهو يهتم بالأشياء أكثر من اهتمامه بالأفراد أو الأشخاص، ولا ينظر إلي الشخص الذي يكلمه، كما أنَّه لا يستمتع بوجود الآخرين ولا يُشاركهم اهتماماتهم، ولا يُحب أن يُشاركوه ألعابه، ويُحب أن يجلس منفرداً، ولا يُحب أن يختلط بالأطفال الآخرين، أيضاً لا يستطيع أن يعرف مشاعر الآخرين أو يتعامل معها بصورةٍ صحيحة (قد يري أمه تبكي، أو تبدو حزينة فلا ينفعل أو يتأثَّر؛ لأنَّه لا يستطيع التفاعُّل مع المواقف بصورةٍ جيدةٍ أو طبيعيَّةٍ مثل بقية الأطفال العاديين)٠

ثانيًا: ضعف التواصل اللُّغوي:

قصور حاد في التواصل اللفظي وغير اللفظي، وأيضاً تأخُّر وعجز لُغوي في التحدُّث، وإذا تحدَّث فيكون حديثه قصير جداً، ويجد صعوبة في ربط اللفظ مع الفعل (يستخدم كلمة « أجلس»، ويعني بها «أقوم».. وهكذا).

ويجد صعوبة أيضاً في استخدام الضمائر (يستعمل ضمير «أنت» عندما يود أن يقول «أنا»، بل يستعمل اسمه،فيقول: أسامة يُريد أن يشرب) ، ويصدر أصوات وتعليقات غير مفهومة مع قلَّة في مفرداتها٠

وهـو يُعيـد ويُكـرِّر مـا يقولـه الآخـرون وخاصَّـة المقاطـع الأخيـرة؛ لـذا.. غالبـاً مـا يكـون التواصـل عـن طريـق الإشـارات بـدلاً مـن الكلمات٠وأحيانـاً يسـتعمل كلمـات غريبـة مـن تأليفـه ويُكرِّرهـا دائمـاً، كمـا أنَّـه لا يصـدر أصـوات المناغـاة كغيـره مـن الأطفـال الأسـوياء٠

هـذا... وقـد تتطـوَّر المهـارات الاجتماعيَّـة واللُّغويـة الطبيعيَّـة لـدي فئـة قليلـة مـن الأطفـال المُصابين بالتوحُّـد بنسـبة تصـل من١٠ إلـي ٢٥٪، ثُـمَّ تتعـرَّض تلـك المهـارات لفقـدان مفاجـئ عنـد بلوغـه عـام ونصـف العـام تقريبـاً٠

ثالثًا: الاهتمامات والنشاطات المتكرّرة:

مـن الملاحـظ أنَّ أنشـطة واهتمامـات وألعـاب الطفـل التوحُّـدي متكـرّرة ومحـدودة، فـلا توجـد فيهـا تجديـد، فهـو يلعـب بسـيارةٍ واحـدةٍ فقـط، ويلعـب بالمكعبـات دون غيرهـا مـن الألعـاب الأخـري٠ وطريقـة لعبـه لا تتماشـي مـع اللُّعبـة التـي يلعـب بهـا (يـرص السـيارات الصَّغيـرة بطريقـةٍ مُعيَّنـة بـدلاً مـن أن يتخيَّـل أنهـا تسـير في الطريق)٠وهـو يحـب الروتـين ولا يحـب التغييـر في ملابسـه،أو أنـواع طعامـه،أو طريقـة تنظيـم غرفته٠كمـا يتعلَّـق بالأشـياء مثـل: وسـادة مُعيَّنـة،أو بطانيـة بعينهـا ويحملهـا معـه دومـاً٠ وقـد يكـون لديـه حـركات متكـرّرة لليـد أو الأصابع٠كمـا يمكـن منـذ الطفولـة المبكـرة أن يُلاحـظ الأهـل بـأنَّ الطفـل الرضيـع لا يتواصـل مـع أمـه

أو أبيه، فالتواصل خلال النظر يكاد أن يكون معدوماً، أو في أقلّ درجاته ·والرضيع لا يتفاعل مع البيئة التي يعيش فيها، فهو لا يبتسم لَمَنْ حوله رغم محاولاتهم لاستمالته إليهم·ومع مرحلة الطفولة المبكرة يكون الطفل منعزلاً عن المجتمع، ويفضل اللَّعب منفرداً، ويُلاحظ تأخُّر الكلام، وافتقاده للنطق·

وتبعاً لدليل الجمعية الأمريكيَّة للطبّ النفسي لتشخيص الاضطرابات العقليَّة، فإن أعراض التوحُّد تظهر كما يلي، منذ مرحلة الطفولة المبكرة:

(أ) قصور نوعي في التفاعُلات الاجتماعيَّة المتبادلة:

قصر المدة الزمنية للانتباه لما يدور حوله، وميله نحو العزلة والانسحاب، حيث يجلس الطفل التوحُّدي بعيداً عن والديه، منطوياً على ذاته، ولا ينشغل بمُحيطه، مع ضعف شديد في الإحساس بوجود الآخرين، أو إبداء مشاعر التعاطف معهم، وهو لا يرد تحية مَنْ يقوم بتحيته، وهو أيضاً لا يريد أن يُجلِس أحد ـــ ولو كان والده ـــ في المقعد المجاور، ويقاوم ذلك بشكل كبير·

وطفل التوحُّد لا يهتم بمشاعر الآخرين، ولا يفهم حاجاتهم للخصوصية، ولا يشعر بالحاجة إلي مساعدة الآخرين له·ويُبدي الطفل قصوراً كبيراً في القدرة علي بناء علاقات الصَّداقة مع

الآخرين، فهو غير قادر علي فهم أصول التفاعُّل الاجتماعي، ولذا.. فهو لا يُشارك في الألعاب الجماعيَّة.

(ب) قصور نوعي في التواصل اللفظي، وفي النشاط التخيُّلي:

حيث يظهر الطفل التوحُّدي أسلوباً شاذاً في التواصل، فهو لا يُرحب بالزوار، ولا ينظر إلي الشخص الذي يتفاعل معه، ولا يبتسم له٠وهو يحملق بطريقة ثابتة في المواقف الاجتماعيَّة، وهو كذلك يبدي قصوراً واضحاً في القدرة علي تقليد الآخرين، أو التحدُّث معهم رغم امتلاك الطفل القدرة علي الكلام، فهو أحياناً يُكرّر الكلام بطريقة شاذة سواء من حيث شدَّة الصوت أو علوه أو مُعدله٠

(ج) إظهار مدي محدود من النشاطات والاهتمامات:

حيث يُبدي الطفل التوحُّدي إصرار غير معقول علي إتباع نفس النمط في النشاطات، مثل: الإصرار علي إتباع نفس الطريق عند التسوق من السوبر ماركت، أو الإصرار علي حمل شيء مُعيَّن دون غيره، أو ارتداء زى بعينه، أو لمس قطعة أثاث بشكلٍ مُتكرّر٠

(د) الحركات النمطية:

يُبدي الطفل التوحُّدي حركات جسميَّة نمطية بعينها، كهز الرأس بشكلٍ مُتكرّر، أو ثني اليدين بطريقةٍ مُعيَّنة. كما يُظهر انفعالاً شديداً عند حدوث أي تغيُّرات ولو بسيطة، مثل: تغيير مكانه في الصَّف الدراسي، أو حتى تغيير مكان وضع الكتاب الذي يتصفحه.